العولمة وتوظيف الخطاب المرئي من تحييد الوعي إلى استلاب الهوية

د. جمال سعادنة
جامعة باتنة 01 (الجزائر)

Résumé

Le projet culturel de la mondialisation œuvre pour l'unification et la standardisation des valeurs, perceptions, visions et fins pour les imposer par la suite sur l'ensemble des sociétés humaines. Pour ce faire, il s'appuie en premier lieu sur les média et tout ce qu'il a trait avec le discours visuel qui emploi l'image comme moyen de communication dans un langage unifié dans le but d'être appréhendé et compris par tout le monde. Ce langage, ayant des contenus implicites, puisse neutraliser la conscience, et, par la suite, imposer un projet d'aliénation aux gens de cultures marginales afin de les isoler de leur propre espace culturel, et de les convertir à un état étranger autre que le leur.

Abstract :

The Cultural project of globalization works on the unification of values, perceptions, visions and goals and their standardization. It, then, imposes them on all human societies relying primarily on media and communication means as well as on all what is related to the visual discourse that employs the image to address the world with a universally understood and unified language. This project hides behind its message implicit meanings that allow it to possibly neutralize awareness, and then imposes a project of spoliation on the members of marginal cultures; isolating them from their own cultural space and transforming them to a state other than their original nature

الملخص:

يعمل المشروع الثقافي للعولمة على توحيد القيم والتصورات، والرؤى والغايات، وتنميطها، ثم فرضها على المجتمعات الإنسانية كافة، معتمدا بالدرجة الأولى على وسائل الإعلام والاتصال، وكل ما له صلة بالخطاب المرئي، الذي يوظف الصورة كي تخاطب العالم بلغة موحدة يفهمها كل العالم، تستبطن مضامين مضمرة تتيح لها إمكانية تحييد الوعي، ومن ثم فرض مشروع الاستلاب في حق المنتسبين إلى ثقافات الهامش، وعزلهم عن فضائهم الثقافي الخاص، وتحويلهم إلى حالة أخرى غير التي كانوا عليها في طبيعتهم الأصلية.

الكلمات المفتاحية: العولمة، الخطاب المرئي (الصورة)، الوعي، الاستلاب، الهوية.

مقدمة: العولمة في مفهومها البسيط المختزل تعني التمكين لمبدأ الأنا وحدي في العالم، لذلك يسعى مُنَظِّروه – من موقع المركزية العالمية ــ إلى توظيف كل العوامل والوسائل لتحقيق ذلك، ومن ذلك ثقافة الخطاب المرئي.

وعليه تروم هذه الورقة الإجابة عن جملة تساؤلات أهمها: هل الخطاب المرئي بات يهدد فعلا منظومة القيم والرموز، لما قد يُحْدِثه من تغيير في المرجعيات الوجودية وأنماط الحياة؟ وهل باتت ثقافات الشعوب المغلوبة عارية أمام تدفق الرسائل، والصور، والعلامات التي تحمل معها أبطالا ورموزا بديلة تشغل حيزا مزاحما في مخيلة المشاهد؟ كيف تمكنت وسائل العولمة من اختراق حدود الثقافات المحلية؟ وما دور الخطاب المرئي في إغراء المغلوب بقيم الغالب ونظرياته؟ وهل دور الخطاب المرئي يتوقف عند حدود المتعة الفنية في بعدها الحسي البصري، أم يتجاوز ذلك إلى تحييد الوعي كخطوة أولى تمهيدا لاستمالته، ومن ثم استلاب هويته في خطوة لاحقة؟ هل الخطاب المرئي خطاب عفوي، أم أنه خطاب مدروس بعناية، ويرتبط بموضوعات شديدة الإثارة لتصدير لون ثقافي بعينه؟ وهل الثقافة التي

تروج لها الصورة هي ثقافة النخب التي ترتبط بعالم الأفكار، أم أنها ثقافة شعبية تروج لعادات سيئة تستثمر في لا وعي الشعوب المغلوبة لتسلبها هويتها وخصوصيتها الثقافية؟

أولا: العولمة ومشروع اختراق الحدود الثقافية و تنميطها: من آثار العولمة وسلبياتها العمل على إلغاء الخصوصية الثقافية والأخلاقية والدينية، التي تميز كل مجتمع عن الآخر، فقد تبنت مشروع توحيد القيم والتصورات والرؤى والغايات والأهداف، وهي بذلك تريد "تنميط سياسي واقتصادي واجتماعي وثقافي واحد، وفرضه على المجتمعات الإنسانية كافة"1 وتتخطى بذلك الحقيقة التاريخية والسنة الكونية التي مؤداها أن الجماعة البشرية هي تشكيل متنوع من القوى والإرادات والانتماء والثقافات والتطلعات، وإن هذا التنميط الذي يقوم على الأحادية، والإلغاء الذي لا يعترف بالتنوع سيؤدي حتما إلى توتر يفّجر نزعات التعصب المغلقة، كردة فعل متطرفة على مشروع العولمة المتطرف "الذي يلغي الحدود الثقافية الوطنية منها، والقومية ليرسم حدودا أخرى غير مرئية تحددها جهة الهيمنة على الشبكة الإعلامية العالمية لفرض نوع من الذوق، ونوع من الفكر والسلوك، يضع بحيازة المستفيد من خطاب العولمة الثقافية إنسانا متجردا من أبسط الاهتمامات الوطنية والقومية، بل الاهتمامات الأدبية والأخلاقية عند حدها الأدنى"2

فخطر العولمة يكمن في كونها تسعى إلى نشر قيم تدعي أنها عالمية وإنسانية، وهي في حقيقتها غربية تشكلت في المجتمعات الغربية في ظل شروط تاريخية معينة، لذلك لا بد هنا من التمييز بين العالمية والعولمة؛ فالعالمية اختيار ثقافي حر، وهي طموح إنساني إلى الارتقاء والانفتاح على كل ما هو عالمي وكوني، غايته الحوار والتعارف والتواصل بين الشعوب،3 مع الحفاظ على الخصائص القومية والمحلية لثقافة كل شعب، انطلاقا من المبادئ المشتركة بين التجارب البشرية في التعبير عن وجودها الثقافي والحضاري، هذه المبادئ والأفكار التي تتصل بالشأن الإنساني "أفرزتها خبرة البشر وذكرت بها النبوآت في مختلف الثقافات والحضارات عبر العصور، إنها أفكار جوهرية ميزها الإنسان من حيث لزومها الحيوي لصلاحه ونمائه، كفرد ومجتمع، بل كجنس حيواني متفوق ومتطور، هي أفكار يرتبط بها رقي الأفراد والأمم في كل عصر؛ أفكار تشكل قاسما مشتركا بين الناس كافة، لكونها مؤصلة في حال إنساني واحد يصلح ويفسد، يتقدم ويتخلف، يسمو ويتدنى، عقلا وجسما بذات العلل والأسباب"4

أما العولمة فهي في مفهومها البسيط والمختصر تعني التمكين العملي "لمبدأ الأنا وحدي في العالم، وتكريس مكثف للقمع الشمولي، ونشر حالة الضياع وابتزاز المواقف"5 ومن ثم تسعى من بين ما تسعى إليه إلى فرض نموذج ثقافي واحد مهيمن، وتغييب الثقافات المحلية وتذويبها في ثقافة متسلطة هي ثقافة القوي، وهذا ما تتطلع إليه أمريكا، وتدعو إليه في مشاريعها الثابتة في منطلقها وهدفها، والمتغيرة في شعاراتها وعناوينها؛ كالنظام العالمي الجديد، والعولمة، والديمقراطية، والشرعية الدولية، وحقوق الإنسان... معتمدة في ذلك بالدرجة الأولى على وسائل الإعلام والاتصال؛ مثل الأنترنات، والقنوات الفضائية واستثمار الحضور العالمي للغة الإنكليزية، التي هي لغة الإعلام الآلي، وقد تلجأ أيضا إلى وسائل أخرى قد تبدو في ظاهرها عديمة الأهمية والقيمة لكنها خطيرة التأثير؛ مثل الأغاني الهابطة، والأفلام السينمائية، والقنوات الإباحية، والشركات العابرة للقارات، وحين يستلزم الأمر تدخلا عسكريا مباشرا، فإنها لا تتردد في الإقدام على ذلك.

ويزعم دعاة العولمة أن فرص عمل كبيرة ستتاح للشباب، وأن العالم سيتحد وستزول الحدود بين الشعوب، وسيصبح العالم كله قرية صغيرة يحكمها اقتصاد واحد وتسودها ثقافة واحدة، كما ترى في العولمة، وفي النظام العالمي الجديد نهاية التاريخ، ومثل هذه الدعوة وهم يستحيل تحققه، لأن شعوب العالم تسعى دائمًا إلى الحفاظ على موروثها وتأكيد هويتها، وتحقيق تميزها عن الشعوب الأخرى واختلافها، ويبدو أن العالم يزداد مع العولمة انقساماً، إذ يزداد غنى

دول الشمال، ويزداد فقر دول الجنوب، كما تزداد الهوة اتساعًا بين هذه الدول وتلك، فدول الجنوب تعيش في الحد الأدنى من مستوى العيش، ودول الشمال ولاسيما الدول الصناعية، تعيش في الحد الأعلى من الرفاهية.

ثانيا: العولمة وتوظيف الخطاب المرئي: يتمتع الإنسان المعاصر بفرص أكثر من ذي قبل، لتحقيق الوثبة الحضارية والنهضة العلمية في مختلف حقول المعرفة، ومع ذلك لا زالت الجماعة البشرية في العديد من بلدان العالم تعاني الحرمان والأمية وكل مظاهر التخلف، وبالمقابل نجد أن الاتصالات بين الناس وثقافاتهم تتزايد، وتتعمق على نحو غير مألوف، فالتلفاز والقنوات الفضائية والهواتف الخلوية الذكية، وشبكة الأنترنات ببرامجها ومواقعها المختلفة، تكاد تصل اليوم إلى الأسر في كل مكان، وهنا نسجل عدم التوازن بين المنجز الثقافي الوافد من محور المركزية العالمية، والمنجز الثقافي المحلي لثقافات الهامش؛ حيث ينمو بوتيرة بطيئة متعثرة، لكنه بالمقابل يتدفق عليه الوافد الثقافي الأمريكي بسرعة رهيبة؛ بحيث لا تترك أي مجال للتفكر والتمحيص، والتعاطي معها بحس نقدي انتقائي وفق الخصوصيات المحلية لكل ثقافة، لذلك كان الموقف منها موقف قلق وتوتر وحماس[6] يُولِّد لدى تلك المجتمعات قناعة بضرورة مواكبتها، من باب التكيف مع مستجدات العالم الذي يتغير بسرعة، ومن ثم يجب أن لا نتخلف عنه، ولعل ثقافة الصورة من أهم ما يعتمد عليه الوافد الثقافي الأمريكي لبسط الهيمنة الثقافية، لِمَا تتميز به الصورة من إمكانية القيام بدور هام في صناعة الرمز وصياغة الدلالات، ولِمَا تتوفر عليه أيضا من عناصر تعبيرية متنوعة ومثيرة في شكلها ولونها ورمزيتها وجمالها... إلى جانب العنصر الأهم المتمثل في العلاقة مع المتلقي، لذلك أضحى الخطاب البصري من المصادر الرئيسة في إعادة صياغة القيم، وإنتاج الرموز الجاهزة، وتشكيل الوعي، والوجدان والذوق والسلوك، وتلقي الأفكار والمعارف بطريقة آلية تجعل إنسان المستقبل نسخا متكررة تفكر وتتذوق وتستدل بطريقة شبه موحدة، أما ما يستعصي على التنميط وفق هذه الآلية فسينقرض تدريجيا كالفلسفة والشعر[7] وبعض الفنون، والعلوم الإنسانية التي ترتبط بالخصوصيات الثقافية، ونتيجة لكل ذلك أصبح الاهتمام كبيراً بالفن المرئي كونه نظاماً متكاملاً ومؤثراً للإرسال والتلقي، ويمكن من خلاله خلق التأثيرات المختلفة، وتحقيق الأهداف المنشودة باعتبار أن الواقع المرئي هو إعادة تشكيل للواقع الأصل، وإدراك ذاتي ورؤية جديدة للعالم، ففي "قلب الصناعة الترفيهية ــ الأفلام الموسيقى والتلفاز ــ نجد سيطرة متزايدة لمنتجات الولايات المتحدة، مع أن الهند تنتج أكبر عدد من الأفلام سنويا، فإنتاج هوليود تصل إلى كل العالم بحيث تحصل على أكثر من 50% من إيراداتها من الخارج، بعد أن كانت هذه النسبة 30% فقط في العام 1980م ... وعلى العكس من ذلك نجد أن الأفلام الأجنبية نادرا ما تنجح نجاحا ضخما في الولايات المتحدة، بحيث ان حصتها تقل عن 03% من سوق الأفلام السينمائية هناك"[8].

وعبر مر السنين التي شهد فيها الخطاب المرئي تطورات متلاحقة، جعلت منه أداة للنفوذ والهيمنة بفعل إمكاناته في التأثير، وامتلاك المعلومة، والتحكم فيها؛ سواء أكانت اجتماعية، سياسية، عسكرية، ثقافية أو تربوية، وقد أدى ذلك إلى تقارب كوني للمجتمعات الإنسانية رغم ما بينها من اختلاف في اللغة، والعرق، والدين، والتاريخ، والجغرافيا، ويضاف إلى ذلك اختلافها في الأهداف والرؤية إلى الكون والحياة، فثقافة الصورة اخترقت كل الحدود، وألغت فواصل الزمان والمكان، وسجلت وقائع التاريخ لحظة بلحظة، إنها الوسيلة الأكثر، والأسرع اتصالاً، وإبلاغاً، وتثقيفاً، وحضورا، وتأثيرا، فالصورة التي يتكثف فيها المعنى، وتختزل فيها الأفكار، فتغنينا عن عدد قد لا يحصى من الصحائف المكتوبة، هذه الصورة تراها تحيط بنا من كل جانب، ولنا أن نتأمل الفضائيات، وما تغدق به من الصور على مدار ساعات البث المتواصل، وقل مثل ذلك عن السينما وحيلها، ودورها الخطير المعتمد على ما تتميز به من إمكانات تقنية هائلة وقدرات في التصوير، الأداء، الخدع، المونتاج والإخراج، مما يجعل الخطاب السينمائي في غاية من التشويق، والإثارة التي لا مناص من الانجذاب إليها، والاندماج معها والتأثر برسالتها.

وفي كل الأحوال لا مشكلة في انفتاح ثقافات شعوب على غيرها من ثقافات الشعوب الأخرى، بل على العكس من ذلك إن المشكلة حين لا يتحقق هذا الانفتاح، أو حين يتم بطريقة وفي ظروف تؤدي إلى القضاء على هوية الثقافات المحلية وخصوصيتها، وهذا ما عبر عنه غاندي في قوله الشهير: ((لا أريد أن يكون منزلي محاطا بجدران من جميع الجوانب، ونوافذي مسدودة، فأنا أريد أن تهب ثقافات جميع البلاد على منزلي بأقصى درجة ممكنة من الحرية، ولكني أرفض أن تعصف بي أي ثقافة منها))

فاللجوء إلى ثقافة الصورة وجعلها بديلا لثقافة الكلمة، وبخاصة في مجتمعاتنا التي انتشرت فيها الأمية، يشكل عامل تهديد خطير لمقومات التماسك الثقافي، والقومي للأطراف الأقل قوة وتقدما، إذا لم يتم التعامل معها بوعي، وبتأسيس مشروع ثقافي وقائي يتكيف مع تحديات عالم الاتصال، ولأن الصورة تحتل مكانة هامة في التواصل البشري تفوق أهمية الكلمة، كان من الطبيعي أن يكون ذلك سببا في تقدم الاتصال عن طريق الفضاء، واحتلال الأقمار المكانة الأولى قبل الأوراق في إحداث ذلك التواصل، وبفضل هذا التطور ومن خلال القنوات وشبكات الاتصال، أصبحت الصورة هي المفتاح السحري للنظام الثقافي الجديد؛ أي نظام إنتاج وعي الإنسان بالعالم، ولا تحتاج الصورة لأن تكون مُعَضَّدَة بخطاب مكتوب، أو مصاحبة لغوية كي تنفذ إلى إدراك المتلقي، فهي بحد ذاتها خطاب ناجز مكتمل، يتكثف فيه المعنى، يعبر عن نفسه بنفسه، ويملك سائر مقومات التأثير الفعال في مستقبليه، لأن الخطاب المرئي يعتمد على التواصل المباشر مع قاعدة عريضة من شعوب العالم، لذلك نجد المضامين الثقافية لهذا الخطاب تقوم على انتقاء لون من ألوان الثقافة الأمريكية لتصديره، وهو الثقافة الشعبية، وليس ثقافة الصفوة أو النخبة التي تعتمد على المنجَز الفكري، والمعرفي، والإبداعي لكبار الفلاسفة والعلماء، والمفكرين في الآداب والفنون، والسياسة، والاقتصاد، والنظريات الفلسفية والعلمية، فما يحدث اليوم من رواج للصور والإشارات والنصوص المرئية على الشاشات الإلكترونية الدائمة البث، بات يشكل تهديدا لمنظومات القيم والرموز، وتغييرا في المرجعيات الوجودية وأنماط الحياة[9]، وطرائق التفكير، فضلا عن الاضطراب الذي تحدثه في تحديد الأهداف الكبرى المرتبطة برسالة الفرد في الحياة، وهذا ما اصطلح عليه بالحرب الناعمة[10] التي لا تعد منهجا جديدا في مناهج الحرب النفسية والدعاية، بقد ما هي تطور في الوظائف ناجم عن التطور الكمي والنوعي الهائل في وسائل ووسائط الاتصال والإعلام، بل يمكن اعتبار الحرب الناعمة إفرازا طبيعيا وحتميا مرتبطا بسعة انتشار، وتوسع الجيل الرابع من وسائط تكنولوجيا الاتصال والإعلام (الفضائيات، أجهزة الاتصال الخليوية الرقمية، مواقع وصفحات الإنترنت، شبكات التواصل الاجتماعي)[11] وبالإجمال ترتكز القوة في الحرب الناعمة على كل المؤثرات، والرموز البصرية، والإعلامية، والثقافية، والأكاديمية، والبحثية، والتجارية، والعلاقات العامة والدبلوماسية، وكل مورد، أو مفردة، أو أداة لا تدخل ضمن القدرات، والإمكانات والأدوات العسكرية المصنفة ضمن القوة الصلبة12، وعليه أمسى كل مورد ومصدر للقوة، وكل عنصر من عناصرها، أو مظهر من مظاهرها، هدفا في إطار الحرب الناعمة، التي يخطط لها العقل الغربي، ومؤسساته بتقنيات ودقة عالية، في اختيار الوسائل، والمضامين، وفي تحديد الأهداف، وتصنيفها بحسب المرحلة، وبحسب قيمتها وأهميتها وأولويت

1- **الصورة وتحييد الوعي:** من الخصائص الخطيرة للصورة أنها تخاطب العالم بلغة واحدة، تفهمها كل الجماعة البشرية وإنْ اختلفت ثقافاتها وألسنتها وأقطارها، بل إن خطابها يمتد إلى العوام من الناس، لذلك كان من الطبيعي أن تُعتمَد الصورة كأهم وسيلة يتم توظيفها لتمرير مشروع العولمة، والتمكين للنموذج الثقافي والسياسي المرتبط بطموح الهيمنة والتسلط، وإدراكا منه لأهمية الخطاب المرئي وخطورة الصورة، دعا الباحث في الأمن القومي الصهيوني "**ميخائيل ميلشتاين**" إلى خوض معركة صبورة استنزافية طويلة الأمد، تسعى لتقويض المراكز التي تتبلور فيها الأفكار، ومنها تنغرس في وعي الجمهور ووجدانه، وفي هذا الإطار يبرز ــ كما يضيف ــ دور أجهزة الإعلام والتعليم والمراكز الدينية في بيئة المقاومة، ويرى أنه حين يتحقق التغيير الجوهري والطويل الأجل في أنماط عمل هذه

المدارس والجامعات، ووسائل الإعلام، والمساجد والمؤسسات الدينية، يمكن القضاء على فكرة المقاومة في دائرة الوعي، ومن ثم إلحاق الهزيمة بهذا النوع من الوعي[13].

فالصورة التي تمتلك القدرة على مخاطبة العالم باللغة التي يفهمها كل العالم دون الحاجة إلى الترجمة، أو إلى أي وسيط آخر بينها وبين من تخاطب، هي سلاح يمكن اعتماده في الحرب الناعمة، لتحقيق ما لا تحققه الأسلحة الفتاكة في الحرب الصلبة، ذلك لأن الصورة بإمكانها أيضا أن توحد العالم على تفكير واحد، وذوق واحد، وموقف واحد، وشعور واحد، وذلك ــ طبعا ــ إذا استطاعت أن تعطل العقل وتُحَيِّد الوعي، باعتماد جملة من الطرائق التي تستثير في الفرد، وفي المجتمع حظوظ النفس وكوامن الغريزة العمياء السالبة، أو تميت في الإنسان كوامن الحركة الإيجابية التي تجعل منه فردا فاعلا، ومتميزا ومقاوما، يتمسك بهويته ويعتز بشخصيته في عالم الأفكار، والمشاعر والمواقف، ومن ثم الفاعلية في واقعه الاجتماعي، والسياسي والاقتصادي...

ونذكر من تلك الطرائق:

أ ــ توجيه الخطاب للجسد: والهدف من ذلك تنشيط الغرائز، على حساب القيم الروحية والتربوية المعبرة عن هوية الإنسان، وخصوصيته الثقافية، وانتمائه الحضاري، وذوقه الخاص الذي قد يُسْلَب منه في غمرة الانسياق خلف ثقافة الموضة التي يفرضها الآخر متى شاء، وكيف يشاء وهو يلقي بما لا يعد من الصور والعلامات المتدفقة، التي تحمل معها أبطالا ورموزا جديدة تمتلئ بها مخيلة المشاهد؛ بدءا بعارضات الأزياء، ونجوم الكرة، ووصولا إلى رموز الفن والسينما، والأطعمة، وأنماط السلوك، وموضات الملابس، التي تأخذ طابعا عالميا يغزو كل المجتمعات بحجة أن الطبيعة البشرية واحدة وهي لا تتغير، وإنْ تغيرت انتماءات الناس الجغرافية والثقافية.

ب ــ تحجيم النشاط العقلي: لا أحد ينكر ما للصورة من دور في صناعة الوعي، وإمكانية الإسهام في صياغة الحياة، لكن مع ذلك لا مناص من الاعتراف بأن ثقافة الصورة وبحكم ارتباطها بالجمهور العريض من عامة الناس، فإنها في عمومها تقوم على الإثارة والإمتاع والإغراء، لذلك ترى الكثير من الخطابات المرئية التي ترد إلينا تروج للون معين من ألوان الثقافةالأمريكية، وهي الثقافة الشعبية الأمريكية كالموسيقى والأفلام السينمائية والنمط الأمريكي في اللباس والأطعمة وغيرها من السلع الاستهلاكية والكمالية التي انتشرت على نطاق واسع وبخاصة بين الشباب[14] فهذه الثقافة الشعبية الأمريكية تنساق خلف المظاهر، وألوان الموضة، وكل ما هو هامشي في الحياة، فتشغل حيزا مركزيا في صناعة الذوق، وتحديد أولويات الناس واهتماماتهم في هذه الحياة، وبذلك ينحصر حجم النشاط العقلي كلما انحصر حضور ثقافة الصفوة في الخطاب المرئي، لتكون نتيجة ذلك هي الاستهانة بالثقافة الجادة، وبالإبداع الجاد المتميز، بل الاستهانة بكل القيم النوعية التي تعبر عن رسالة الإنسان في هذا الوجود.

ج ــ تكريس وهم الفردية: يستمد الفرد عناصر الوعي، من انتمائه الحضاري إلى تاريخه، وإلى مجتمعه، وكل ما له صلة بمقومات شخصيته، التي ينبني عليها وعيُه، ورؤيته إلى الحياة، وموقفه من قضاياها الكبرى، لذلك فإن عزل الفرد عن انتمائه الحضاري، يعني بداية الإحساس بالتيه والضياع، بسبب عدم امتلاك المرجعية الثقافية التي تجعله يعيش متعة الإحساس بالاحتماء، والانتماء إلى كيان حضاري يشعره بمعنى وجوده، وقيمة هذا الوجود، ورسالته فيه، لذلك فإن ثقافة الصورة التي ترد إلينا من الآخر تسعى في الكثير من خطاباتها المرئية إلى عزل الفرد عن كيانه الحضاري بحجة تمجيده وتفجير طاقاته، لتحقيق طموحه، ومن ثم إبراز شخصيته المغمورة والمطموسة بفعل ضريبة الانتماء إلى كيان حضاري ما، وكلما نجح المروجون لهذا النوع من الخطاب المرئي في عزل الفرد عن محضنه الثقافي، وانتمائه الحضاري يكونون قد عطلوا فيه وعيه بذاته وبانتمائه، ومن ثم يكون أكثر قابلية واستعدادا لأن يُستَلَب، وهنا يجب التنبيه إلى مسألة مهمة؛ وهي الخلط بين النزعة الفردية التي تعني التمرد المطلق اللامحدود على كل القيم المرتبطة بالأنا الأعلى، والنزعة الفردية الإيجابية التي تقاوم محاولات استلاب "العقل الفردي من خلال التنشئة الاجتماعية أو التربية

الأسرية التي قد تربّي الفرد على حقائق اعتبارية خاطئة، وليست حقائق واقعية بمعنى أنها تفسّر بعض الحقائق، وتعطيها معنى ما دون أن يكون ذلك التفسير أو ذلك المعنى واقعيين، فيتم تربية الفرد أو تنشئته على التهوّر تحت مسمّى الشجاعة، أو يتربّى على العنف والقتل تحت مسمّى القوة ونصرة الدين، وهكذا تتوالى المعاني التي يتربّى عليها الأفراد بشكل غير واقعي تم الاصطلاح عليها خطأ مما جعلها حقائق لا تقبل النقاش".[15]

وقد نجد أنفسنا أمام نوع آخر من الاستلاب وهو "تسليم العقول لدراسات علمية ونظريات قام ببثها العلماء والفلاسفة، وتم الأخذ بها والتسليم بها لأنها علميّة وقالها علماء لهم سمعتهم مع أنهم يخطئون ولديهم من ينتقدهم ويخطئهم ومع ذلك فبعض الأفراد يأخذه سحر الشخصية العلمية وينبهر بالأفكار الضخمة التي قد لا يفهمها "[16] فيتعطل الحس النقدي لديه، بحيث يفقد روح المبادرة، ونعمة التفكير، في حين أن الإنسان يجب أن يكون لديه حدا أدنى من الاستقلالية والعقلانية وقوة الشخصية، " فيبحث عن الحقيقة التي تمثّله لأنّ الأصالة للإنسان لا للمجتمع ولا لأي سلطة خارجية، ويجب أن تتفق تلك الحقيقة مع إنسانيته دون أن تمسخها، أو تشوهها وتغير جمال معالمها، وعلى المجتمع والأسرة أن يعوا تلك المسألة، فيتم تربية الأجيال على ما يجعلهم أقوياء بعقولهم وشخصياتهم "[17] فتسليم العقول، وتفويض من يفكر عنا بالإنابة هو بداية التخلف، والتطرّف بكل أشكاله وعناوينه.

د ــ إشاعة السلبية: بإمكان الخطاب المرئي أن يخلق تأثيرات مختلفة، تتباين في أدوارها الإيجابية والسلبية، لكن حين تكون الصورة في خدمة مشروع العولمة تحديدا، فإن تأثيرها على الثقافات المحلية هو تأثير سلبي لا محالة؛ حيث تعمل على زرع ثقافة الشعور باليأس، وفقد الثقة بالذات، من خلال التركيز على ضخ نموذجين متباينين من الخطاب البصري؛ الأول خطاب بصري عميق مشرق مؤثر إيجابي يقدم المجتمع الغربي في أرقى الصور الحضارية والإنسانية والجمالية، بينما الثاني خطاب بصري مظلم عنيف بائس يقدم مجتمعاتنا في أسوء صور الخراب الحضاري والإنساني والجمالي، فيحدث الإحساس بالمفارقة، ومن ثم الشعور بحالة الإحباط والانهيار الوجداني، وما يترتب عن ذلك من سلبية وإرادة مشلولة.

هـ ــ تجزئة الزمن لطمس الترابط في مفهوم حركة التاريخ : التاريخ حركة مستمرة، ومادة حية تجعل الأحداث والوقائع مرتبطة ببعضها، وإنْ اختلف زمانها ومكانها، لذلك كل محاولة لتجزئة عامل الزمن في قضايا التاريخ، تعني تغييب مفهوم حركة التاريخ وتفتيته بما يحيله مجرد روايات تسرد الأحداث الخوالي، وفي ذلك طمس لبعد الترابط الزمني في المفهوم الحقيقي للتاريخ، هذا المفهوم "الذي ينبعث من الروح الإنسانية والعقل البشري المبدع والإرادة الواعية، وهو حينئذ يستند إلي قيم ومبادئ راسخة"[18] فالتاريخ في حقيقته "هو انعدام الزمن ليتلاقى الماضي مع المستقبل وتصبح الحقيقة واحدة في كل الأزمنة، ومن هنا نرى أن القرآن الحكيم يطرح التاريخ كمادة حية، تعيشها الأمم مع مرور الأزمنة لتأخذ اعتبارها وتستفيد من التجارب والدروس"[19].

وانطلاقا مما سبق نتساءل إلى أي مدى تحافظ ثقافة الصورة على مفهوم الترابط في حركة التاريخ؟ لنكتشف أن الصورة تستدرجنا إلى الانشغال في تفاصيل الحياة اليومية، وكل المواقف التي هي وليدة اللحظة، ومن ثم تمييع الحقيقة وجعلها تتلون بحسب ظروف الزمان والمكان مع أن الأصل في الحقيقة أن تبقى ثابتة، ولكي تبقى كذلك لا بد أن يلتحم الماضي بالمستقبل في حركة مستمرة، تؤكد أن الحقيقة واحدة في كل الأزمنة.

وتعمل ثقافة الصورة أيضا على أن يرى الناس أنفسهم بوصفهم أفرادا معزولين، يعيش كل منهم لنفسه، ويتبادلون التأثير من خلال رموز الاستهلاك، ويتم ذلك عبر أمركة التلفزيون في كل بلاد العالم لخلق عقلية وسيكولوجية ثقافة الاستهلاك، وسيطرة القيم المادية للحياة، مما يؤدي إلى تفريغ العالم من المعنى، ومن التنوع والتعدد، وإمكانية ممارسة النقد، أو التثاقف الإيجابي الذي يحفظ للثقافات المحلية خصوصيتها.

2 ــ من تحييد الوعي إلى استلاب الهوية: كثيرا ما ترتبط علاقات التثاقفاللامتوازن بمشاريع مضـــمرة؛ قـــد يكـــون عنوانها العام المُعبِّر عنها، والكاشف عن هدفها هو الاستلاب الذي نعني به في مفهومه العام "غياب الشيء أو الشخص عن فضائه الخاص، وتحوله إلى حالة أخرى، غير ما كان عليه"[20] في أصل منشئه السابق ككائن ثقافي له كيانه الثقافي الذي يميزه عن غيره؛ فالغياب عن الفضاء الثقافي الخاص أو الأصيل، يقابله الحضور في فضاء ثقافي آخر أو دخيل، ويخضع هذا الحضور والغياب لعدة عوامل قد تجعل الاستلاب في مراحله الأولى هدفا اختياريا، يتحقق بـــوعي إرادي؛ لأنه يتم بتخطيط سابق، ويختار أدواته الإجرائية التي تساعده على ذلك[21] ويرتبط هذا الـــوعي الإرادي فـــي صـــناعة مشروع الاستلاب بمحورين رئيسين، يمثل أحدهما المحور الفاعل (المركزية الغربية)، بينما يمثل الثاني المحور القابل (الثقافات المحلية).

أـــ المحور الفاعـــل: أو المحور القوي الذي يقدم نفسه على أنه يمثل المركزية العالمية، بينما الثقافات الأخـــرى تمثـــل الأطراف أو الهامش، ومن ثم يعمل انطلاقا من هذا الشعور بالتفوق على فرض ثقافته وإلغاء الثقافات المحلية الأخـــرى بوصفها تمثل الهامش، أو جعلها محدودة في أحسن الأحوال، بهدف إفراغها مـــن مضـــمونها المعبِّـــر عـــن هويتهـــا وخصوصيتها الحضارية، ومن ثم الامتداد فيها وتحويلها عنصرا ثانويا بسيطا مهزوما، يتم استقطاب المنتسبين إليها إلى محور الثقافة والهوية الكلية المزعومة، وقد عبر فوكو ياما عن حقيقة هذا المشروع ونوايا أصحابه حين طرح فكـــرة (نهاية التاريخ) وهو ينتشي بسقوط الاتحاد السوفياتي، وسقوط المعسكر الشرقي عموما، ونهاية الحرب البـــاردة لصـــالح أمريكا وحلفائها مؤكدا " أن الديمقراطية الليبرالية أصبحت بعد انهيار الاتحاد السوفياتي فكرة عالمية، ولا بد لبني البشر، ولدول العالم من قبولها شاءوا أم أبوا، وأن جيوب المقاومة التي نلحظها في إيران وغيرها، ليست إلا مقاومـــة لشـــتات جيش مندحر، وسوف لا نحتاج إلى وقت طويل لدحرها، لأنها مقاومة ضعيفة وغير واقعية، ويكفي أن نصـــبر قلـــيلا لنشهد نهايتها"[22] حين يتحدث فوكو ياما بنبرة فيها استعلاء بيِّن ويقول: (لا بد لبني البشر، ولـــدول العـــالم مـــن قبـــول الديمقراطية الليبرالية شاءوا أم أبوا) نكتشف أن هذا الخطاب في بنيتيه السطحية والعميقة، يعبر عن الحلم الأمريكي في تحقيق الهيمنة، ومحاولة انتزاع الاعتراف بالقيمة والجدارة والاقتدار، لذلك يسعى هذا الغرب إلى توظيف كل ما تتيحـــه له حضارته من نفوذ سياسي، وترسانة عسكرية، ورفاهية اقتصادية، وشبكات إعلامية ذات جودة راقية، ومستوى عال في تنويع الخطاب المرئي والمسموع، كل ذلك من أجل تحقيق هذا الحلم المتمثل في التمكين لمبدأ الأنا وحدي في العالم، الذي يؤدي في نهاية المطاف إلى إفناء الآخر ثقافيا، وإلحاقة بالثقافات الأخرى ليس باعتباره مشاركا في إنتاجها، وإنما كوافد يتوسل عطاياها، أو متطفل يحاول اعتلاء صهوتها.

فالمحور الفاعل (الغرب) في مشروعه الثقافي الإقصائي قرر ما يجب أن يكون عليه حال المنتسبين إلى ثقافات الهامش من استلاب أو استيعاب مبرمج وموجَّه، كهدف مقصود عن سابق وعي وتخطيط وتصميم، وإنْ لم يتحقق ذلـــك فلا بد من مسخ الفرد المنتسب إليها وإبعاده عن ذاته الحضارية، وإيقائه تائها بلا انتماء أصيل أو بديل فتضل به السبل، مما يجعله سهلا لأن يكون أداة طيِّعة في تمرير المشاريع الثقافية الإلغائية، أو يكون ذاتا متحولة إلى فضـــاء مســـتباح، يستقبل في غير وعي كل وافد، بل يتبناه في استسلام مطلق ! لأنه في نهاية المطاف هو مجبر على تقمـــص شخصـــية طارئة، والتلون بلون مزيف، يناقض حقيقته الجوهرية، وطبيعته المتأصلة، وكم هو سهل أن يتحقق ذلك باعتماد ســـلاح الصورة والخطاب المرئي عموما، الذي يعبر عن مضامينه باللغة البصرية التي تختزل كل اللغات، وتقتحم أسوار كـــل الثقافات، فالصورة ــ كما سبقت الإشارة ــ التي تمتلك القدرة على مخاطبة العالم باللغة التي يفهمها كل العالم، بإمكانها أن توحد العالم أيضا على ذوق واحد، وموقف واحد، وشعور واحد، تخطط له المركزية الغربية، وتنساق إليـــه ســـائر الشعوب في ظرف تاريخي يتعطل في الوعي، ويتم الغياب عن الذات وفضائها الثقافي الأصيل، ليتحقق الاستلاب الذي تكتمل معالمه بالحضور الممسوخ في الفضاء الثقافي الآخر؛ ذلك لأن الثقافة في واقع الحال لا تتكرر، باعتبـــار أصـــل

التكوين، فضلا عن الطابع الجوهري الخاص الذي تتفرد به كل ثقافة عن غيرها من الثقافات الأخرى؛ في الذوق والعادات وأسلوب ممارسة الحياة، ومن ثم مهما حاول الفرد الغياب عن كيانه الثقافي، فإن الكيان الثقافي الذي يحل به لا ينسجم مع حقيقته في نشأتها الأولى.

ب: المحور القابل: في كل الأحوال الاستلاب لا يعبر عن مشروع الهيمنة للمحور الفاعل فحسب، بل قبل ذلك هو تعبير أيضا عن الموقف أو الاستعداد النفسي، والاستجابة الطوعية للضعيف المنتسب إلى ثقافات الهامش، إزاء المنجز الثقافي المقتدر والمُبْهِر الذي يصنعه المحور الفاعل، وهو موقف تتم ترجمته عمليا إلى مجموعة سلوكات؛ كلها تقليد وانقياد وانبهار ... يغيب فيه دور الوعي في إحداث التوازن بين: التمسك بالأصيل من جهة، وحسن التفاعل مع الدخيل من جهة ثانية، بما يضمن التوازن في حفظ خصوصية الكيان الثقافي، مع الانفتاح على الثقافات الأخرى، والتعرف عليها، والإفادة منها. و قد أشار ابن خلدون إلى المنشأ النفسي لظاهرة انقياد المغلوب للغالب في قوله الشهير الذي مؤداه: "أن الغالب مولع أبدا بالاقتداء بالغالب، في شعاره وزيه ونحلته، وسائر أحواله وعوائده، والسبب في ذلك أن النفس أبدا تعتقد الكمال في من غلبها وانقادت إليه، إما لنظره بالكمال بما وقر عندها من تعظيمه، أو لما تغالط به من انقيادها ليس لغلب طبيعي، إنما هو لكمال الغالب، فإذا غالطت بذلك واتصل لها، حصل اعتقاد فانتحلت جميع مذاهب الغالب، وتشبهت به" 23 لكن مهما حاول المغلوب تقليد الغالب، والتشبه به فإنه لن يكون "هو"، بل لا يخلو الأمر من ضريبة ثقافية باهظة الثمن؛ فالفرد "الذي استسلم للتقليد، في العادات والأذواق، وبصورة عامة في تقليد ما يكتظ به عالم أشياء شيده غيره، يصبح في المجال النظري مقلدا للأفكار التي صاغتها تجارب وخبرات غيره"[24] فهو لا يقلد الغالب في نمط الحياة، بل يقلده أيضا في طريقة التفكير وهنا مكمن الخطورة، لأن مفهوم الاستلاب حقيقته الجوهرية يقوم على "جذب الآخرين إلى شرطيات الخصوصية، والعمل على التدريج والتدقيق، في طمس معالم هوياتهم ومحوها، واحتوائها، بابتلاعها، بآليات أنتجتها الثقافة الخاصة، ثم إنتاجها وفق مقاييس ذاتية خاصة، تؤول مع الوقت إلى فسخ المستقبل، وجعله تكرارا للمركز وتقليدا له"[25]

فالاستلاب في مراحله الأولى كان هدفا اختياريا، تم بوعي إرادي من المحور الفاعل، وباستجابة إرادية أيضا من المحور القابل، لكن في مراحل لاحقة، ومع أجيال قادمة يصبح الاستلاب مآلا حتميا اضطراريا ويتحول إلى مسلوبية تحمل دلالة القهرية، وغياب الوعي، والإرادة الطوعية في اختيار المصير؛ " فالمسلوبية هي نتاج الاستلاب الواعي، وهي حالة تُوَرَّث اتباعا ... وهي تختلف عن الاستيلاب، في ضمور الحضور، وقلة الحساسية، واختفاء الوعي شبه التام، لعلة التراكم المُوَرِّث للإلف، الذي ينتهي إلى إساغة الأمر، وعدم استهجانه، فيصير الوضع الناشئ مألوفا"[26] بحيث مع مرور الزمن، وتراكم حالات الاستلاب وتجذرها، والائتلاف معها، يتم توريثها للأجيال اللاحقة التي تجد نفسها تعيش حالة استلاب قهري لم تقرره، ولم تختره، بل هي لا تعي أصلا أنها تعيش هذه المسلوبية !التي هي نتاج تجربة سابقة أسس لها جيل في لحظة تاريخية قاسية غير متوازنة؛ تشهد بالروح الانهزامية غير المقاومة لجيل مغلوب يمثل المحور القابل، كما تشهد أيضا بالروح الاستعلائية لجيل غالب، يمثل المحور الفاعل الذي استأثر بصياغة المستقبل، وتحديد المصير.

خاتمة: خلصت الدراسة إلى جملة نتائج هي:

ــ يسعى مشروع العولمة إلى تغييب الثقافات المحلية، وتذويبها في ثقافة متسلطة هي ثقافة القوي، لذلك يصطدم هذا المشروع الإلغائي بالحقيقة التاريخية، والسنة الكونية التي مؤداها أن الجماعة البشرية هي تشكيل متنوع من القوى، والإرادات، والانتماء، والثقافات والتطلعات.

ــ أضحى الخطاب البصري من المصادر الرئيسة في إعادة صياغة القيم، وإنتاج الرموز الجاهزة، وتشكيل الوعي، والوجدان والذوق والسلوك، وتلقي الأفكار والمعارف بطريقة آلية، تجعل إنسان المستقبل نسخا متكررة تفكر وتتذوق، وتستدل بطريقة شبه

موحدةلذلك يعد الخطاب المرئي سلاحا خطيرا بيد العولمة، قد تصل خطورته درجة إمكانية إحداث تغيير في المرجعيات الوجودية وأنماط الحياة.

ــ تعد الصورة بحد ذاتها خطابا ناجزا مكتملا، يتكثف فيه المعنى، يعبر عن نفسه بنفسه، ويملك سائر مقومات التأثير الفعال في مستقبليه، لاعتماده على التواصل المباشر ولارتباطه بموضوعات شديدة الإثارة لتصدير لون ثقافي بعينه؛ هي الثقافة الشعبية التي تروج لعادات سيئة، تستثمر في أمية الشعوب المغلوبة لتسلبها هويتها وخصوصيتها الثقافية.

ــ باتت ثقافات الشعوب المغلوبة عارية أمام تدفق الرسائل، والصور، والعلامات التي تحمل معها أبطالا ورموزا بديلة، تشغل حيزا مزاحما ومهما في دائرة الاهتمام للمشاهد؛ فالخطاب المرئي يؤدي وظيفة إغراء المغلوب بقيم الغالب ونظرياته، لذلك لا يتوقف دوره عند حدود المتعة الفنية في بعدها الحسي البصري، بل يتجاوزها إلى وظيفة أكثر خطورة؛ وهي تحييد الوعي كخطوة أولى تمهيدا لاستمالته، ومن ثم استلاب هويته في خطوة لاحقة.

هوامش البحث ومراجعه:

[1] فتيحة زرداوي، العولمة الثقافية؛ آثارها وأساليب مواجهتها، مقال في كتاب جماعي (التثاقف في زمن العولمة) منشورات مخبر حوار الحضارات والعولمة، جامعة باتنة، 2011م، ص 239.

[2] محمد حسن الفلاحي، سلام أخطر من الحرب، دار ومكتبة الحقيقة دمشق، ط 02، ت 2006، ص 112.

[3] ينظر: محمد عابد الجابري، العولمة والهوية الثقافية، مجلة المستقبل العربي، العدد 228، فيفري 1998م، مركز دراسات الوحدة العربية بيروت، ص17.

[4] محمد خاقاني، عالمية الإسلام في عصر العولمة، مقال في كتاب جماعي (التثاقف في زمن العولمة) منشورات مخبر حوار الحضارات والعولمة، جامعة باتنة، 2011م، ص 194.

[5] محمد حسن الفلاحي، سلام أخطر من الحرب، ص 20.

[6] ينظر: بشرى محمود الزوبعي، العولمة والمخاطر الثقافية وكيفية المواجهة، مقال في كتاب جماعي (التثاقف في زمن العولمة) منشورات مخبر حوار الحضارات والعولمة، جامعة باتنة، 2011م، ص 194.

[7] ينظر: محمد الكتاني، أي منظور للمستقبل الهوية في مواجهة تحديات العولمة، كتاب العولمة والهوية، المملكة المغربية، ت ماي 1997، ص 85.

[8] تقرير التنمية البشرية لعام 1999م، منشور لحساب برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، البحرين، ص33.

[9] بركات محمد مراد، العولمة والصورة تعزيز الهوية واستلابها، مؤتمر فيلاديلفيا الثاني عشر، ثقافة الصورة (الصورة في الإعلام والفنون) 30 أكتوبر/ 01 نوفمبر 2007م. http://www.philadelphia.edu.jo/arts/12th/abstract2.htm

[10]الحرب الناعمة مشتقة من مقولة "القوة الناعمة" كما روج لها المنظر الأول لهذه القوة البروفيسور جوزيف ناي نائب وزير الدفاع الأمريكي السابق ومدير مجلس المخابرات الوطني الأمريكي، وعميد كلية الدراسات الحكومية في جامعة هارفرد، وهو أحد أهم المخططين الاستراتيجيين الأمريكيين، وقد تمكن بمهارة من توظيف ثنائية الصلب والناعم المستعملة في تقسيم أجهزة وقطع الكومبيوتر الذي يتألف من أدوات ناعمة software وأدوات صلبة hardwareفي سبيل ترويج مشروعه الاستراتيجي والسياسي والعسكري الذي يقوم على نقل المعركة من الميدان العسكري الصلب حيث التفوق لعقيدة القتال والموت والصبر الطويل والصمود التي يتقنها أعداء أمريكا من وجهة نظر جوزيف ناي إلى الميدان الناعم وأدواته التكنولوجية والاتصالية والإعلامية، حيث التفوق لأمريكا وحلفائها. (ينظر: http://alwelayah.net/?p=12721 بتاريخ 09 جانفي 2016م).

[11]بروس بمبر. الديمقراطية الأمريكية وثورة المعلومات / دار الحوار الثقافي 2006

[12]تصريح للجنرال يحيى رحيم صفوي / منشور في وكالة الطاهرة للأنباءwww.altahera.net

[13]ميخائيل ميلشتاين "صعود تحدي المقاومة وأثرها على نظرية الأمن القومي الإسرائيلي" جريدة السفير اللبنانية العدد 11495 الصادرة بتاريخ 2010/1/18

[14] ينظر: لطيف كريم محمد العبيدي،العولمة في الفكر السياسي المعاصر، مجلة دراسات وبحوث الوطن العربي، العددان 06 و 07، 1999م، بغداد، ص 65.64

[15] سلمان عبد الله الحبيب، تسليم العقول واستلاب الهوية، http://www.doroob.com/?p=28836

[16]نفسه، http://www.doroob.com/?p=28836

[17] نفسه

[18] مرتضى معاش، حركة التاريخ بين قدر الاستبداد وحرية الاختيار، مجلة النبأ، العدد 45، ماي 2000.

[19] نفسه، العدد 45، ماي 2000.

[20] الحاج دواق، التثاقف من مسلوبية الاحتواء إلى معقولية التعارف، مقال في كتاب جماعي (التثاقف في زمن العولمة) منشورات مخبر حوار الحضارات والعولمة، جامعة باتنة، 2011م، ص 214.

[21] ينظر: نفسه، ص 214.

[22] خضير جعفر: نحن وفوكوياما ونهاية التاريخ، مجلة المجتمع الثقافي، عدد 1313، ت ربيع الثاني 1419هـ/1998، بيروت، ص 45.

[23] ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، بيت الأفكار الدولية السعودية، دط، دت، ص77.

[24] مالك بن نبي، المسلم في عالم الاقتصاد، دار الفكر الجزائر، دط، ت 1987م، ص 08.

[25] الحاج دواق، المرجع السابق، ص 214.

[26] نفسه، ص 214.

ببليوغرافيا:

01 ــ بركات محمد مراد، العولمة والصورة تعزيز الهوية واستلابها، مؤتمر فيلاديلفيا الثاني عشر، ثقافة الصورة (الصورة في الإعلام والفنون) 30 أكتوبر/ 01 نوفمبر 2007م.
http://www.philadelphia.edu.jo/arts/12th/abstract2.htm

02 ــ بروس بمبر. الديمقراطية الأمريكية وثورة المعلومات / دار الحوار الثقافي 2006

03 ــ بشرى محمود الزوبعي، العولمة والمخاطر الثقافية وكيفية المواجهة، مقال في كتاب جماعي (التثاقف في زمن العولمة) منشورات مخبر حوار الحضارات والعولمة، جامعة باتنة، 2011م.

04 ــ تقرير التنمية البشرية لعام 1999م، منشور لحساب برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، البحرين.

05 ــ الحاج دواق، التثاقف من مسلوبية الاحتواء إلى معقولية التعارف، مقال في كتاب جماعي (التثاقف في زمن العولمة) منشورات مخبر حوار الحضارات والعولمة، جامعة باتنة، 2011م.

06 ــ خضير جعفر: نحن وفوكوياما ونهاية التاريخ، مجلة المجتمع الثقافي، عدد 1313، ت ربيع الثاني 1419هـ/1998، بيروت.

07 ــ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، بيت الأفكار الدولية السعودية، دط، دت.

08 ــ سلمان عبدالله الحبيب، تسليم العقول واستلاب الهوية، http://www.doroob.com/?p=28836

09 ــ فتيحة زرداوي، العولمة الثقافية؛ آثارها وأساليب مواجهتها، مقال في كتاب جماعي (التثاقف في زمن العولمة) منشورات مخبر حوار الحضارات والعولمة، جامعة باتنة، 2011م.

10 ــ لطيف كريم محمد العبيدي، العولمة في الفكر السياسي المعاصر، مجلة دراسات وبحوث الوطن العربي، العددان 06 و 07، 1999م، بغداد.

11 ــ مالك بن نبي، المسلم في عالم الاقتصاد، دار الفكر الجزائر، دط، ت 1987م.

12 ــ محمد حسن الفلاحي، سلام أخطر من الحرب، دار ومكتبة الحقيقة دمشق، ط 02، ت .2006

13 ــ محمد خاقاني، عالمية الإسلام في عصر العولمة، مقال في كتاب جماعي (التثاقف في زمن العولمة) منشورات مخبر حوار الحضارات والعولمة، جامعة باتنة، 2011م.

14 ــ محمد عابد الجابري، العولمة والهوية الثقافية، مجلة المستقبل العربي، العدد 228، فيفري 1998م، مركز دراسات الوحدة العربية بيروت.

15 ــ محمد الكتاني، أي منظور للمستقبل الهوية في مواجهة تحديات العولمة، كتاب العولمة والهوية، المملكة المغربية، ت ماي 1997.

16 ــ مرتضى معاش، حركة التاريخ بين قدر الاستبداد وحرية الاختيار، مجلة النبأ، العدد 45، ماي 2000. 17 ــ ميخائيل ميلشتاين "صعود تحدي وأثرها على نظرية الأمن القومي الإسرائيلي" جريدة السفير اللبنانية العدد 11495 الصادرة بتاريخ 2010/1/18

18 ــ يحيى رحيم صفوي / منشور في وكالة الطاهرة للأنباءwww.altahera.net